

الأسرة الأولى ودورها في العمارة الجنائزية

(دراسة حتى نهاية الأسرة الرابعة)

إعداد

سمير رمضان محمد عبد العزيز شاهين

مفتش آثار – وزارة السياحة والآثار

أ.د/ عادل أحمد زين العابدين

أستاذ الآثار المصرية القديمة رئيس قسم الآثار الأسبق وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث
السابق كلية الآداب - جامعة طنطا

المستخلص :

أولى المصريون القدماء اهتمامًا كبيرًا بحياتهم الآخرة منذ فجر التاريخ أكثر من أي شعب آخر من شعوب العالم القديم، الذي يتجلى في اهتمامه بتشييد مقبرته والتي أطلق عليها بيت الأبدية^١ لإيمانه بأن الموت ليس نهاية المطاف وإنما هو انتقال إلى حياة أخرى أبدية، لذا كان لزاماً عليه أن يهتم بتشييد مقبرته والتي سوف يحيى فيها إلى الأبد وتحمى جثمانه لكي تعود إليه روحه ويحيى حياته الأبدية، فشيدوها من مواد تتحمل عوادي الزمن فحفرها في الصخر وشيدها من الحجر في حين بنى منزله من الطوب اللبن، كما زودوا المقابر بمختلف الأثاث الجنائزي من طعام وشراب وأدوات لتكون عوناً له في حياته الآخروية ، وقد مرت المقابر الملكية منذ بداية الأسرات وحتى الأسرة الرابعة بعدة تطورات هامة في العمارة الجنائزية والتي بدورها كان لها تأثيراً وانعكاساً على مقابر الأفراد، فدائماً كانت مقابر الملوك بما توافر لها من إمكانيات من أمهر المهندسين والفنانين والعمال فضلاً عن الإمكانيات المادية ما جعلها دائماً في الصدارة ومثلاً يُحتذى به ويقلدها كبار رجال الدولة في مقابرهم ، وكانت للعمارة الجنائزية خلال الأسرة الأولى دوراً هاماً في تأصيل مبادئ وأسس العمارة الجنائزية وملهمَةً لعناصر معمارية بديعة في الدولة القديمة.

الكلمات الافتتاحية :

مقبرة ، أثاث جنائزي ، مقصورة ، قرايين، مصطبة ،مشكاة ، باب وهمي ، نيشة.

^١ محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠، ص. ٢٥٧

The First Dynasty and its role in funerary architecture (Study until the end of the Fourth Dynasty)

Abstract:

The ancient Egyptians paid great attention to their afterlife since the dawn of history, more than any other people of the ancient world .

This is evident in their interest in constructing their tomb, which they called the house of eternity, because they believed that death was not the end of the road , but rather a transition to another eternal life. Therefore, it was necessary for them to pay attention by building his tomb , in which he would live forever and protect his body so that his soul would return to him and he could live his eternal life , he built it from materials that could withstand the time. He carved it into the rock and constructed it of stone, while his house was built from mud bricks. They also provided the tombs with various funerary furniture, including food, drink and tools to help him in his afterlife. The royal tomb from the beginning of the dynasties until the 4th dynasty underwent several important developments in funerary architecture, which in turn had an impact and reflection on the tombs of individuals. The tombs of the kings, with their available capabilities of the most skilled engineers, artists and workers as well as the material capabilities always kept them at the forefront and an example to be emulated and imitated by the great statesmen in their tombs. Funerary architecture during the first dynasty played an important role in establishing the principles and foundations of funerary architecture and inspiring the wonderful architecture elements of the old kingdom .

Keywords: Cemetery, funerary furniture, shrine, offerings, mastaba, niche, false door, niche.

مقدمة:

اهتم المصري القديم ببناء مقبرته مقره الأبدي في العالم الآخر، وبداية من الأسرة الأولى ترسخت عناصر العمارة الجنائزية في مصر القديمة والتي كانت أساساً ومثلاً يحتذى به ، وقد مرت المقبرة في مصر القديمة بعدة مراحل من التطور من حيث تخطيط المقبرة ومادة البناء منذ عصر ما قبل الأسرات حتى وصلت إلى شكل المقبرة خلال عصر الدولة القديمة.

مقابر عصر ما قبل الأسرات

كانت أقدم المقابر التي عثر عليها مقابر ترجع إلى العصر الحجري الحديث وبداية استخدام المعادن، حيث كانت المقابر عبارة عن حفرة بسيطة غير عميقة ذات شكل بيضاوي أو دائري^٢ وكانت تحفر بجانب المساكن أو بعيدة عنها في جبال مستقلة وكان يوضع عليها بعد الدفن كومة من الحصى والحجر لتحديد مكانها ولحماية المتوفى من عبث الحيوانات المفترسة ، ثم تطورت المقبرة لتصبح مستطيلة الشكل ذات جدران مستقيمة يغطيها الحصى وتُسقف بجذوع الأشجار ومنها ما كان يقسم بواسطة أعواد النبات المضفورة إلى قسمين قسم للدفن والآخر للأثاث الجنائزي وهي الخطوة الأولى لإنشاء مخازن الأثاث الجنائزي مثل مقبرة هيراكونبولس والتي يُعتقد أنها لزعيم^٣ ، وزينت جدرانها بمناظر ملونة تصور ست مراكب في صفين ويحيط بها تصوير لأشخاص وحيوان^٤ (شكل ١) ، وكان المتوفى يدفن على جانبه في وضع القرفصاء مكفناً بالحصى أو الفراء أو وعاء من الخوص ثم أصبح يوضع في تابوت صغير من الصلصال أو الفخار أو الخشب ، وكان يوضع معه ما يلزمه من أثاث وطعام وشراب وأدوات زينة وصيد^٥ وغيره مما يحتاج إليه في حياته الأخرى^٦، وجدت هذه المقابر عارية تماماً من أي أبنية علوية ويُعتقد أنه كان يعلوها بناء علوي لتعيين مكانها وليُقدم به القرابين^٧ كما في مقابر الأسرة الأولى وربما أندثر بفعل عوامل التعرية وقد أطلق Reisner على هذه المقابر اسم الطراز البدائي (prototype).^٨

^٢ عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وأثارها ، الجزء الأول ، ١٩٩٢ ، ص. ١٤٥
^٣ محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٥٩ ؛ عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وأثارها ، ص. ١٧٨-١٧٦

^٤ Quibell, J.E., Green, F.W., Hierakonpolis, II, London, 1900 – 02, pl.75

^٥ Vandier, J., Manuel d'archeologie Egyptienne, t. I, La prehistoire, Paris, 1952

^٦ محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٦٠

^٧ محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٥٩

^٨ Reisner, G.A. , The development of the Egyptian tomb Down to Accession of Cheops, combridge, 1936,p.1

مقابر العصر العتيق

١. الأسرة الاولى

أ- المقابر الملكية

كانت المقابر تتكون من جزئين رئيسيين هما جزء تحت الأرض والثاني فوق سطح الأرض وقد تم تقسيم المقابر حسب تخطيط وطريقة بناء الجزء السفلي إلى عدة طرز، حيث كان الجزء السفلي في المقبرة الملكية خلال النصف الأول من الأسرة الأولى عبارة حفرة كبيرة مستطيلة الشكل كُسيت جوانبها بجدران سميكة من الطوب اللبن وتحتوي على غرفة الدفن من الخشب ولها سقف خشبي^٩ ثم ازدادت في الاتساع وبدأ يحيط بها مقاصير صغيرة كمخازن للأثاث الجنائزي، وتدرجياً زاد اتساع الحفرة حتى وصلت في أواخر الأسرة إلى عشر أمثال أقدم مقبرة، والقبر لم يكن له مدخل في بداية الأمر^{١٠} وأطلق على هذه المقابر اسم الطراز الأول (type I) ، وقد قسم Reisner هذا الطراز إلى ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الأولى (RT I-1) type I حيث كان المبنى السفلي عبارة عن حجرة واحدة مثل مقبرة مينا (من عحا)^{١١} و نعرمر ومقابر ثلاث ملكات.

والمرحلة الثانية (RT I-2) type I والتي كانت المبنى السفلي للمقبرة عبارة عن حجرة خشبية كبيرة مقسمة إلى عدة حجرات ويحيط بهم مقاصير صغيرة كمخازن مثل مقبرة جر وجت (شكل ٢).

والمرحلة الثالثة (RT I-3) type I وكان المبنى السفلي لها مزود بسورين مبني بينهما مجموعة من المقاصير بمستوى أعلى من حجرة الدفن التي هي أكثر عمقاً وتقع في وسط المبنى مثل مقبرة مريت نيت^{١٢}.

وخلال النصف الثاني للأسرة الأولى شهدت المقبرة تطوراً حيث زود القبر الملكي بمدخل يؤدي إلى درج قصير من جهة الشمال حيث لم يكن له مدخل قبل ذلك مما ساعد على زيادة عمقه بداية من عهد الملك (دن) سادس ملوك الأسرة، وتم سد المدخل المؤدي إلى حجرة الدفن بمتاريس حجرية ضخمة مثبتة في تجاويف على أبعاد مختلفة، كما قام بتغطية أرضية القبر بحجر

^٩ Petrie, F., The royal tombs of the first dynasty, part I, London, 1900 and the royal tombs of the earliest dynasties, part II, London, 1901.

^{١٠} محمد أنور شكرى ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٦١

^{١١} أسكندر بنوى ، تاريخ العمارة المصرية القديمة ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٥٤ ، ص. ٩٧

^{١٢} Reisner, G.A., Tomb Development, p.7 .

الجرانيت^{١٣} وقد أطلق على هذا التخطيط الطراز الثاني^{١٤} وقد قسم Reisner هذا الطراز إلى أربعة مراحل (RT II 1-4) type II^{١٥}، وزينت جدران حجرة الدفن بالحصير الملون دقيق الصنع أو يثبت بها قراميد القيشاني التي تمثل الحصير^{١٦}، وقد شيد كل ملك منذ بداية الأسرات مقبرتين له الأولى في أبيدوس باعتباره ملك مصر العليا والثانية في سقارة باعتباره ملك مصر السفلى ولكن يلاحظ أن مقابر سقارة كانت أكبر وأفخم وحجرات الدفن أكثر عمقا^{١٧} مما دعى إلى الاعتقاد أن مقابر أبيدوس كانت رمزية^{١٨}.

وظهرت أقدم تمثيل للأبواب الوهمية والتي كانت عبارة عن شكل مستطيل غائر في بعض الجدران الداخلية للغرف الصغيرة المحيطة بحجرة الدفن أو على جوانب بعض الأكتاف اللبنيّة التي تفصل بين كل غرفة وأخرى كما في مقبرتي جر و واجي في أبيدوس^{١٩}، كما وجد في سقارة مصطبة ضخمة تنسب إلى واجي أو أحد أسرته يوجد في الجدار الجنوبي لحجرة دفنها مشكاة يعتقد Emery, W.B. أنها كانت تحتوي على باب خشبي أو لوحة خشبية أدت غرض الباب الوهمي لروح المتوفى وافترض وجود مشكاة أخرى مواجهة لها بالجدار الشمالي وجد تحت أنقاضها حفرة تحتوي على عظام غزالتين صغيرتين وضعنا قرباناً لصاحب المقبرة^{٢٠}.

أما البناء العلوي للمقبرة الملكية بسقارة فقد كان على شكل مصطبة مستطيلة من الطوب اللين يزينا المشكاوات من جميع الجهات يغشيها ملاط من الطين عليه طلاء أبيض مزين بزخارف هندسية تحاكي الحصير^{٢١} وكان الغرض من هذه المشكاوات أنها تمثل عنصر زخرفي يضيف جمالاً على المبنى خاصة مع تباين الأضواء والظلال ويزيد المبنى قوة بانكسار حدة الاستقامة عليه وربما كانت هذه المشكاوات تمثل مدخل القصر الملكي ولذلك ربما كانت تمثل أبواباً وهمية تدخل منها روح المتوفى إلى حجرة الدفن، ويرى عبدالعزيز صالح أن هذه المشكاوات لم تكن جميعها تمثل أبواباً وهمية وإنما كانت إحدى هذه المشكاوات بالطرف الجنوبي من الواجهة

¹³ Petrie, F., Royal tombs II, p.9, pl.56 A, I. ;

محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٦١
^{١٤} إسكندر بدوي، تاريخ العمارة المصرية القديمة ، ص. ٩٨

¹⁵ Reisner, G.A., Tomb Development, p.7

^{١٦} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٦٩

¹⁷ Emery, W.B., Excavations at Saqqara , The tomb of Hemaka, Cairo, 1938 ; Excavations at Saqqara 1937-1938, The tomb of Hor- aha, Cairo, 1939 ; Great tombs of the first dynasty, vols. I, II, III.

^{١٨} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٦٩

^{١٩} عبد العزيز صالح ، مداخل الروح وتطوراتها حتى أواخر الدولة القديمة ، مجلة كلية الآداب ج. القاهرة ، مصر

، ص. ٩٨ ، ج ١ ، ١٩٦٠ ، ص. ٩٨

^{٢٠} عبد العزيز صالح ، مداخل الروح ، ص. ١٠٠

^{٢١} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٦٩

الشرقية هي من تمثل الباب الوهمي لذا ميزها البناء بمميزات مقصودة مثل مقبرة الملكة مريت نيت بسقارة حيث عثر Emery, W.B. في أرضية مشكاة بالطرف الجنوبي للواجهة الشرقية على بقايا ألواح أعتقد أنها لسقيفة كانت تميزها عن باقي المشكاوات ودلت إنها كانت مخصصة لأغراض الروح وتقدمة القرابين^{٢٢} وكان لهذه المشكاوات تأثيراً واضحاً في عمارة الدولة القديمة مثل السور الخارجي لمجموعة زوسر وتمثيلها بمقصورة القرابين مثل مقصورة بتاح حوتب – الأسرة الخامسة بسقارة وتزيين جدران غرفة الدفن مثل حجرة دفن الملك ونيس والملك ببي الثاني وكذلك تمثيلها على جوانب التوابيت مثل تابوت الملك منكاورع ، وقد عثر بداخل إحدى مقابر سقارة على مبنى مدرج في ثلاث جوانب (شكل ٣) ربما كان أصلاً لبناء الهرم المدرج^{٢٣} ، كما عثر بجوار أحدهم على مبنى من اللبن على شكل قارب كان يحتوى على قارب لرحلة الملك في العالم الآخر المماثلة لمركب الشمس حول أهرام الدولة القديمة والوسطى^{٢٤} ، وكانت المقابر محاطة محاطة بسور أو سورين ، وقد عثر إلى الشمال من مصطبة قاعا آخر ملوك الأسرة الأولى داخل السور الخارجي للمقبرة على معبد جنازي^{٢٥} يماثل المعبد الجنازي للملك زوسر من حيث الموقع وتخطيطه المعماري^{٢٦} (شكل ٤) .

أما البناء العلوي لمقابر أبيدوس فقد تهدم ويُعتقد أنه كان على شكل مصطبة من الطوب اللبن ولها سطح مقبى ويحيط به سور من اللبن^{٢٧} وعثر بها على لوحة حجرية تعرف ب (نصب أبيدوس) وهي ذات قمة مقوسة ومنقوش على وجهها اسم الملك داخل السرخ الذي يعلوه الصقر حورس وفي حالة واحدة يعلوه الإله ست أما الوجه الآخر فهو خشن وغير مهذب وبعض المقابر عثر بها على لوحتين لذا يعتقد أنه كان بكل مقبرة لوحتين تثبت في طرفي واجهة المقبرة وربما كانت هذه النصب أصلاً لمقابر الأفراد ذات المشكاتين ويعتقد أنها تمثل أبواب وهمية لروح المتوفى ترشده الى مكان الجثة وتعلن عن صاحب المقبرة وتقام أمامها الطقوس الجنائزية وتقدمة القرابين خاصة وأنها تماثل أبواب الأكواخ والمقاصير في العصور السحيقة بالإضافة لوجود بعض المداخل المقبية لحجرات بعض المصاطب اللبنيّة بالحيزة عهد الملك خوفو ووجود باب وهمي ذات قمة

^{٢٢} عبد العزيز صالح ، مداخل الروح، ص . ١٠٦-١٠٧ ;

Emery, W.B., Great tombs of the first dynasty, vol. II, London, 1954, p. 128-139, pl. XIII, LIII.

^{٢٣} Emery, W.B., Great Tombs of the First Dynasty, vol. I, London, 1949, p.83, fig. 48.

^{٢٤} سيريل ألريد ، الحضارة المصرية ، ترجمة مختار السويدي ، مراجعة احمد قري ، ١٩٩٦، ص. ١٤٨ ; محمد أنور

شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٣٢٨، ٣٢٠

^{٢٥} Emery, W.B. , Great Tombs of the First Dynasty, vol. III, London, 1958, pl.2.

^{٢٦} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٧١ ، ٢٨٣ .

^{٢٧} Junker, H., Giza XII, Wien und Leipzig, 1955, s. 28 ff ; Lauer, J. Ph., Histiore Monumentale des Pyramides d'Egypte, I, Les Pyramides a Degres, Cairo, 1962, p.47.

مستطيلة يتخلله عقد الأمر الذى يوحى أنه يجمع بين طرازين من الأبواب أحدهما مقبى والآخر مستقيم^{٢٨} (شكل ٥).

ب - مقابر الأفراد

تأثرت مقابر الأفراد بمقابر الملوك فكانت تتكون من جزئين: السفلي عبارة عن حفرة تسقف بالخشب أو الحجر، والعلوى مبنى على شكل مصطبة من الطوب اللبن تزينها المشكاوات من جميع الجهات مثل المقابر الملكية (شكل ٦) أو تحلى طرفي واجهتها المطللة على الوادي مشكاتان (ربما مستوحاة من نصب أبيدوس) (شكل ٧) أو مشكاة واحدة بالطرف الجنوبي للواجهة الشرقية مثل مقابر الأتباع بسقارة (شكل ٨) وربما كان تخصيص مشكاة القرابين بالطرف الجنوبي الشرقي في الثلاث طرز يرجع إلى عادة وضع رأس المتوفى إلى الجنوب في أغلب الأحوال، كما إنها تميزت عن نظيرتها الشمالية في المقابر ذات المشكاتين بالاتساع والعمق ووضع لوحة القرابين بها أو أمامها تلك اللوحة التي يصور عليها صاحب المقبرة وحوله اسمه وألقابه وقائمة القرابين التي يحتاجها في العالم الآخر والطست والأبريق إشارة للرقى والرفاهية^{٢٩} والتي تمثل إحدى مراحل تطور وظهور الباب الوهمي .

٢- الأسرة الثانية

أ- المقابر الملكية

تميزت المقابر الملكية في الأسرة الثانية في أبيدوس بالسقف المبني من الطوب المتدرج والذى بدأ في الظهور بأسقف بعض المخازن بمقبرة قاعا آخر ملوك الأسرة الأولى كمرحلة انتقالية، ويعتبر هذا السقف المتدرج أصلاً للأسقف المتدرجة بهرم سنfro وخوفو، كما زاد عدد المخازن المحيطة بحجرة الدفن مثل مقبرة الملك بر إيب سن والملك خع سخموي من ملوك الأسرة الثانية (شكل ٩) وهو ما أطلق عليه بالطراز الثالث^{٣٠}.

أما المقابر الملكية بسقارة فقد تميزت بالدرج العميق المؤدي إلى الجزء السفلي كما إن غرفة الدفن وما يتصل بها من مخازن كانت تحفر في الصخر بحيث تكون سقوفها من الصخر الطبيعي وهو

^{٢٨} محمد أنور شكرى ، العمارة فى مصر القديمة ، ص. ٢٦٢ - ٢٦٤

^{٢٩} عبد العزيز صالح ، مداخل الروح، ص. ١٠٢ - ١٠٣ ; محمد أنور شكرى ، العمارة فى مصر القديمة ، ص. ٢٧٢

^{٣٠} إسكندر بدوى ، تاريخ العمارة المصرية القديمة ، ص. ١٠١ ;

ما عرف باسم الطراز الرابع^{٣١} وظهر هذا الطراز منذ بداية الأسرة الثانية حيث عثر على مقبرتي الملك حنتب سخموي والملك ني نتر من ملوك الأسرة الثانية إلى الشرق من هرم ونيس ويتألف كل منها من عدد كبير من الغرف على جانبي دهليز طويل محفورة بالصخر^{٣٢}.

ب- مقابر الأفراد

كانت المقابر في الصعيد عبارة عن حفرة تحفر في الطفل وتكسى جوانبها بالطوب اللبن يتوسطها غرفة الدفن التي كانت أوسع وأعمق وعلى جانبيها غرف المخازن ومن الغرف ما كان يسقف بقبو مدرج من الطوب اللبن^{٣٣} وهذه المقابر من الطراز الثالث.

أما مقابر الأفراد في سقارة فكان الجزء السفلي محفور بالصخر يؤدي إليه درج عميق حيث غرفة الدفن والغرف الملحقة بها كمخازن وسقوفها الصخر الطبيعي مثل مقبرة (روآبن) (شكل ١٠) وهو ما عرف بالطراز الرابع وتبعاً لتقسيم Reisner يعرف type IV A^{٣٤} ، أما الجزء العلوي فكان مصطبة من الطوب اللبن المزين بالمشكاوات من جميع الجهات أو مشكاتين في طرفي الواجهة الشرقية وهي الأكثر شيوعاً^{٣٥} وكان من المشكاوات ما يعلوه لوح حجري منقوش عليه صورة صاحب المقبرة جالساً أمام مائدة القرايين^{٣٦} وحوله اسمه وألقابه والطست والأبريق القريبان من يد صاحب المقبرة وهما من العلامات المميزة للأسرة الثانية^{٣٧}.

مقابر الدولة القديمة

١ - الأسرة الثالثة

أ- المقابر الملكية

شهدت المقابر الملكية مع بداية الأسرة الثالثة تطوراً هائلاً حيث تم استخدام الحجر في البناء بدلاً من الطوب اللبن وبحجم يحاكي حجمه وتحولت المقبرة من شكل المصطبة إلى شكل الهرم المدرج والمدخل في الجهة الشمالية يؤدي إلى مجموعة من الممرات المنحدرة إلى حجرة الدفن المبنية في حفرة كبيرة منحوتة في الصخر ويحيط بها مجموعة من الممرات التي كانت مخازن

³¹ Reisner, G.A., Tomb Development, p.8

³² محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٧٢

³³ محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٧٥

³⁴ Reisner, G.A., Tomb Development, p.8

³⁵ إسكندر بدوى ، تاريخ العمارة المصرية القديمة ، ص. ١٠٦

³⁶ محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٧٢

³⁷ عبد العزيز صالح ، مداخل الروح ، ص. ١٠٤

للأثاث الجنائزي للملك^{٣٨} وهو ما يعرف بالطراز الخامس تبعاً لتقسيم Reisner^{٣٩} ، كما ظهرت الأبواب الوهمية في الممرات الداخلية للهرم المدرج والمقبرة الجنوبية بمجموعة زوسر بشكل واضح^{٤٠} والتي تتألف من ثلاث عناصر هي أساس تكوين الباب الوهمي وهم النيشة والتي تمثل دعامتين يعلوهما عتب ولوحة القرابين وتشغل صدارة النيشة وعليها صور الملك واقفاً بالهندام الملكي يؤدي طقسة الحب سد وأمامه اسمه وألقابه أما العنصر الثالث فهو الطبله وهي عبارة عن لفة الحصر التي تغطي الباب عند سدولها وقد برع الفنان في تزيينها بقراميد القيشاني الأزرق ليقلد بها شكل الحصر المجدول^{٤١}.

ب- مقابر الأفراد

فقد كانت مقابر الأسرة الثالثة تبني بالطوب اللبن وكان يزينها المشكاوات على شكل واجهة القصر من جميع الجوانب أو واجهة المقبرة فقط ثم الاقتصار بمشكاتين في طرفي الواجهة الشرقية ويلاحظ أنه كان يُبنى جدار أمام الواجهة ربما لحمايتها وكانت المشكاة الجنوبية أكبر من الشمالية ويوضع بها لوحة من الحجر الجيري منقوش عليها صاحب المقبرة واقف أو جالس أمام مائدة القرابين وبجانبها اسمه وألقابه وتصوير لبعض القرابين وقائمة القرابين ثم ازداد عمق المشكاة الجنوبية لتصبح مقصورة القرابين وبعض المقابر تحوي سرداب به تماثيل صاحب المقبرة إلى يسار الداخل مقصورة القرابين والمناظر المصورة على الجدران تمثل القرابين المختلفة كما بمقبرة حسي رع بسقارة^{٤٢} (شكل ١١) وقد تجلى تأثير ظهور الأبواب الوهمية بالممرات الداخلية لهرم زوسر المدرج في ثلاث مقابر الأولى مقبرة حسي رع بسقارة حيث تؤدي المقصورة الرئيسية إلى إحدى عشرة نيشة وضع بكل منها لوحة خشبية صور عليها صاحب المقبرة واقفاً أو جالساً ممسكاً بعصويه وأمامه اسمه وألقابه في أسلوب قلد به خصائص النقش عند زوسر والآخرين بالرفاقنة، الأولى حيث تظهر لوحة خشبية داخل نيشة صغيرة خلف المقصورة الرئيسية بمقبرة (شبسس) ونقش على اللوحة صاحب المقبرة يرتدي جلد الفهد ويمسك بعصويه وحوله اسمه وألقابه ويعلوها أسطوانة الحصر التقليدية (الطبله) والثانية تتمثل في لوحة حجرية

^{٣٨} أحمد فخري ، الأهرامات المصرية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة – نيويورك ، ١٩٦٣ ، ص. ٦٠ ; سمير أديب ، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، مكتبة الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص. ٦٢-٦٣

^{٣٩} Reisner, G.A., Tomb Development, P.8

^{٤٠} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٢٨٨-٨٩

^{٤١} عبد العزيز صالح ، مداخل الروح ، ص. ١١٠

^{٤٢} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٣٥٨-٦٠

مثبتة بالواجهة الشرقية للمصطبة ومحاطة بسور من اللبن وصور على اللوحة صاحب المقبرة (سا مري) واقفاً ممسكاً عصاه ويثنى ذراعه ثنية خفيفة وأمامه مجموعة من القرايين^{٤٣}. أما الجزء السفلي من المقبرة فهو من (الطراز الرابع) فيؤدي إليه درج عميق من الجهة الشمالية يؤدي إلى حجرة أو أكثر من حجرة وهو ما يعرف (type IV A) أو درج + بئر يؤدي إلى حجرة أو أكثر من حجرة^{٤٤} وهو ما يعرف (type IV B) أو بئر ذات درج يؤدي إلى حجرة الدفن وهو ما يعرف (type IV C) وذلك طبقاً لتقسيم Reisner^{٤٥}.

٢- الأسرة الرابعة

أ- المقابر الملكية

يعتبر عصر الأسرة الرابعة من أزهى عصور مصر القديمة حيث حكم مصر ملوك عظام استطاعوا إحكام السيطرة على زمام الحكم وبلغت البلاد في عهدهم درجة عظيمة من التقدم والرقي الحضاري تجلت في أهراماتها الشاهقة، حيث حدثت طفرة كبيرة في عمارة المقابر الملكية من شكل الهرم المدرج إلى شكل الهرم الكامل وزيادة حجمه بشكل كبير واستخدام الكتل الحجرية الضخمة في البناء وظهور المجموعة الهرمية بعناصرها الأساسية (الهرم – المعبد الجنائزي – معبد الوادي – الهرم الجانبي – الطريق الصاعد)^{٤٦} التي استمرت حتى نهاية الدولة الوسطى وتحول المقبرة الملكية إلى مقابر صخرية بوادي الملوك في بداية الدولة الحديثة، كما تتجلى في رقي فنون النحت والنقش وغيرها من العلوم وليس أدل على ذلك من هرم خوفو أحد عجائب العالم القديم السبع وتمثال الملك خعفرع ومنكاورع بالغة الدقة في التفاصيل والإتقان في النحت^{٤٧} ورشاقة النقوش وجمالها^{٤٨}.

ب- مقابر الأفراد

انعكس تطور العمارة الملكية على مقابر الأفراد وما أستتبع ذلك من تطور في أسلوب البناء ونقش الجدران حيث تميزت بما يلي:

^{٤٣} عبد العزيز صالح، مداخل الروح، ص ١١٣.

^{٤٤} محمد أنور شكري، العمارة في مصر القديمة، ص ٣٥٩.

^{٤٥} Reisner, G.A., Tomb Development, p.8

^{٤٦} Lehner, M., The Complete Pyramids, New York, 1997, p.103-5 ;

أحمد فخري، الأهرامات المصرية، ص ١٢١-٢٩

^{٤٧} Aldred, C., Old Kingdom Art in Ancient Egypt, London, 1949, p. 29-31

^{٤٨} محمد أنور شكري، الفن المصري القديم، ص ٨٩-١٠٢.

- كانت المقابر تبنى مستطيلة الشكل من الطوب اللبن وبطرفيها الشمالي والجنوبي من الواجهة الشرقية مقصورتان صليبيتان^{٤٩}.
- بداية استخدام الحجر في تجليد جدران مقصورة القرابين فمنذ أواخر الأسرة الثالثة وبداية الرابعة عهد الملك سنfro بدأت حجرة المقصورة المبنية باللبن تكسى ببلاطات من الحجر وتنقش بالمناظر وتحتوي على الباب الوهمي ويوجد بجدارها الجنوبي أو الشمالي أو الغربي فتحة السرداب التي تحوي تمثال صاحب المقبرة مثل مقبرة خع باو سكر بسقارة (أواخر الثالثة وبداية الرابعة) (شكل ١٢)^{٥٠} ومقبرة نفر ماعت وإت بميدوم (عهد سنfro) (شكل ١٣).
- ظهور الباب الوهمي بشكله المعروف وبغناصره الأساسية المتمثلة في النيشة في الوسط وعلى الجانبين دعامتين اللتان تحملان العتب السفلي ويعلوها لوحة القربان ثم العتب العلوي الذي يحمله دعامتين خارجيتين وهو تطور لإرهاصات ظهور الأبواب الوهمية منذ بداية الأسرات وظهوره بشكل واضح خلال الأسرة الثالثة على شكل نيشة يعلوها أسطوانة الحصير التقليدية (الطلبة) والتي ظهرت بالممرات الداخلية بالهرم المدرج والمقبرة الجنوبية للملك زوسر ومقبرة حسي رع بسقارة ومقبرة شبسس بالرقانة^{٥١}.
- التوسع في تصوير مناظر الحياة اليومية والتي ظهرت من قبل في مقبرة حسي رع بسقارة الأسرة الثالثة مثل مقبرة مرس عنخ الثالثة^{٥٢}.
- ثم بناء المقبرة بالكامل من الحجر بداية من عهد الملك خوفو : ففي عهد الملك خوفو فرضت قواعد لبناء مقابر الأفراد قضت بخلوها من التماثيل والأبواب الوهمية والنقوش حيث شيدت مقابر أفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة على شكل مستطيل بأحجار كبيرة خالية من المشكاوات فهي بناء مصمت لا يتخللها سوى بئر الدفن من أعلى الذي يؤدي إلى حجرة الدفن وهو ما يعرف بالطراز السادس طبقاً لتقسيم Reisner^{٥٣} والتي كانت خالية من النقوش وكانت تكسى بالحجر الجيري الجيد ويوجد بأرضية الغرفة بالجانب الجنوبي الشرقي حفرة مربعة توضع بها الأواني الكانوبية ، وكان يبنى مبنى أمام الجزء الجنوبي من واجهة المقبرة من الطوب اللبن تحتوي على ردهة وغرفة قرابين وكان يثبت بالجدار الغربي لوحة منقوش

^{٤٩} إسكندر بدوى ، تاريخ العمارة المصرية القديمة ، ص. ٣٣٩

^{٥٠} Barta, M., tomb of hetpi, Charles University, Faculty of Arts, Prague, 2010, p.54

^{٥١} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٣٥٨

^{٥٢} عبد العزيز صالح ، مداخل الروح ، ص. ١١٢ - ١١٥

^{٥٣} Dows Dunham & W.K Simpson, The mastaba of queen Mersy Anhk III, Boston, 1974, p. 7

^{٥٤} Reisner, G.A., Tomb Development, p.8

عليها صاحب المقبرة أمام مائدة قرابين^{٥٥} وكان يرمي الملك خوفاً من وراء ذلك عدم إقامة الطقوس الخاصة بتمثيل الآلهة والملوك لتمثيل الأفراد ليصون للآلهة قداستها ويحول دون ابتذال شعائرها وعدم محاكاة الأفراد للملك فيما أخذ من عادات وتقاليده كإله^{٥٦}.

- ثم خفت تلك القيود عهد الملك خعفرع حيث سمح للخاصة من أفراد الأسرة الملكية بالأبواب الوهمية والتمثيل والنقوش أما باقي أفراد الأسرة المالكة سمح لهم فقط بالرؤوس البديلة التي كانت توضع أمام حجرة الدفن أسفل البئر، أما في عهد منكاورع فقد سمح لكثير من الأفراد إقامة الأبواب الوهمية والتمثيل ونقش جدران المقبرة^{٥٧}.

- زيادة عدد الغرف بالجزء العلوي للمقبرة مثل مقبرة مرس عنخ الثالثة التي تحتوي على ثلاث حجرات^{٥٨} وتقلص عدد الغرف بالجزء السفلي إلى غرفة واحدة وهي غرفة الدفن اقتداءً بملوك الأسرة الرابعة في بناء مقابرهم مما يشير إلى قلة ما كان يودع مع المتوفى اعتماداً على القرابين المقدمة والشعائر الجنائزية في مقصورة القرابين^{٥٩}.

- حفر مقابر الأفراد بالكامل بالصخر: حيث حفر كثير من أفراد الأسرة المالكة مقابرهم بالصخر والتي كانت تسوى واجهتها وتكسى بالحجر وتميل قليلاً إلى الداخل وتتكون عادة من غرفة أو أكثر ومقصورة القرابين وكانت تزين جدرانها النقوش (مناظر تقدم القرابين والحياة اليومية) والتمثيل المحفورة بالصخر وأحياناً يترك أعمدة من الصخر لتحمل السقف ويحفر بئر الدفن بأرضية المقصورة أو إحدى الغرف مثل مقبرة مرس عنخ الثالثة زوجة الملك خعفرع^{٦٠}.

نتائج البحث:

- بداية ظهور المخازن الملحقة بحجرة الدفن بالمقابر لوضع الأثاث الجنائزي خلال الأسرة الأولى كما في مقابر الملك جر والملك جت .
- أقدم تمثيل للأبواب الوهمية ظهر خلال الأسرة الأولى والذي كان على شكل مستطيل غائر على جدران المخزن الصغيرة الملحقة بالمقبرة حول حجرة الدفن ، أو على جوانب الأكتاف التي تفصل بين كل غرفة وأخرى مثل مقبرة جر و واجي بأبيدوس .

^{٥٥} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٣٦٤ .

^{٥٦} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٣٢٣ .

^{٥٧} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٣٦٥ .

^{٥٨} Dows Dunham & W.K Simpson, The Mastaba of Queen Mersy Anhk III, p. 4-6

^{٥٩} إسكندر بدوى ، تاريخ العمارة المصرية القديمة، ص. ٣٢٥ ; محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة، ص. ٣٦٤

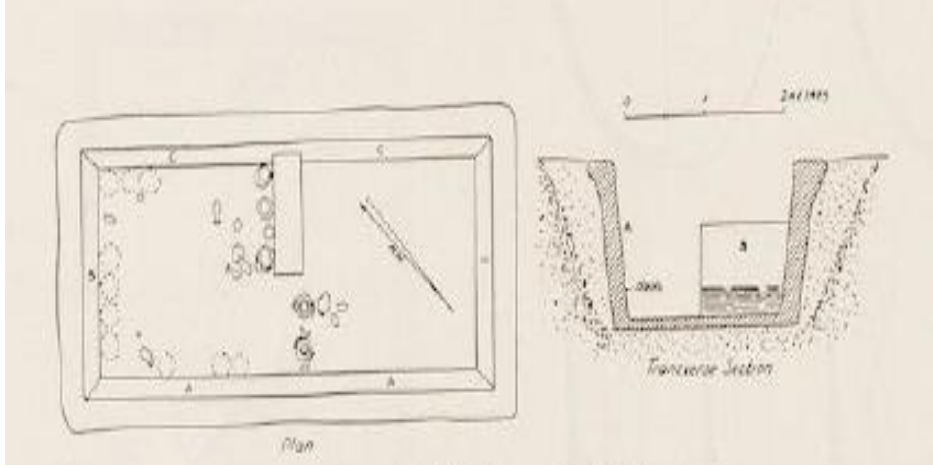
^{٦٠} محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ص. ٣٦٥ .

- بدء عمل مدخل للمقبرة الملكية بالجهة الشمالية يؤدي إلى ممر هابط يؤدي إلى حجرة الدفن خلال عهد الملك دن سادس ملوك الأسرة الأولى الذي أصبح سمة أساسية لمقابر الملوك بعد ذلك .
- تزيين المقبرة من الخارج بالمشكاوات من جميع الجهات التي ربما ترمز للأبواب الوهمية أو مداخل القصر الملكي ظهر خلال الأسرة الأولى ، والذي نجده في السور الخارجي لمجموعة زوسر ، وعلى جوانب تابوت منكورع ، وحجرة دفن الملك ونيس وببي الثاني ، وكذلك مقصورة بتاح حوتب بالأسرة الخامسة .
- تخصيص المقصورة الجنوبية للروح وتقدمة القرايين ترجع إلى الأسرة الأولى حيث تميزت إحدى المشكاوات الجنوبية بتسقيفها بألواح خشبية مما يشير إلى استخدامها لأغراض تقدمية القرايين والطقوس الخاصة بالروح مثل مقبرة مريت نيت بسقارة .
- ربما كان تخصيص المشكاة الجنوبية لتقديم القرايين يرجع إلى عادة وضع رأس المتوفى إلى الجنوب في أغلب الأحوال .
- فكرة البناء المدرج يرجع إلى الأسرة الأولى حيث عثر على مبنى مدرج من ثلاث جوانب بإحدى مقابر الأسرة الأولى بسقارة ، والذي ظهر بعد ذلك في الهرم المدرج بسقارة .
- حفر مراكب الشمس ترجع إلى الأسرة الأولى حيث تم العثور على مبنى من الطوب اللبن على شكل قارب بجوار أحد مقابر الأسرة الأولى مماثلة لحفر مراكب الشمس حول هرم خوفو وهرم ونيس .
- العثور على أقدم معبد جنائزي بالجانب الشمالي لمصطبة الملك قاعا آخر ملوك الأسرة الأولى داخل السور الخارجي للمقبرة ، والذي كان أصلاً للمعابد الجنائزية بالجانب الشمالي لمقابر الملوك حتى نهاية الأسرة الثالثة مثل المعبد الجنائزي لزوسر ، وبداية من الأسرة الرابعة تحول المعبد الجنائزي لجهة الشرق مع الاستمرار في بناء مقصورة بالجهة الشمالية للهرم .
- الأسقف المتدرجة بدأت بالظهور في بعض مخازن مقبرة قاعا آخر ملوك الأسرة الأولى ، والذي انتشر خلال الأسرة الثانية ، ظهر جلياً في هرم سنفرو وخوفو .
- النصب التذكارية بأبيدوس خلال الأسرة الأولى ربما كانت أصلاً للأبواب الوهمية ، وربما كانت أصلاً للمقصورتين الشمالية والجنوبية بالجانب الشرقي للمقبرة .
- ظهر تزيين جدران حجرة الدفن بقراميد القيشاني خلال الأسرة الأولى والذي ظهر في ممرات الهرم المدرج والمقبرة الجنوبية لزوسر بسقارة .

- استخدام المتاريس الحجرية لغلق مدخل حجرة الدفن على مسافات متفاوتة ظهر خلال الأسرة الأولى .

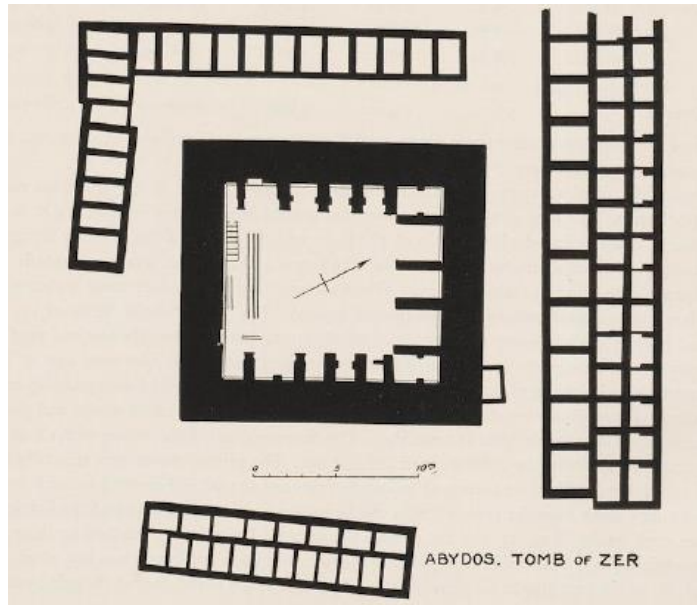
ويتضح من هذه النتائج أن معظم العناصر المعمارية الجنائزية السائدة في الدولة القديمة ترجع في أصولها إلى الأسرة الأولى التي وضعت أسس العمارة الجنائزية في مصر القديمة .

الأشكال والصور



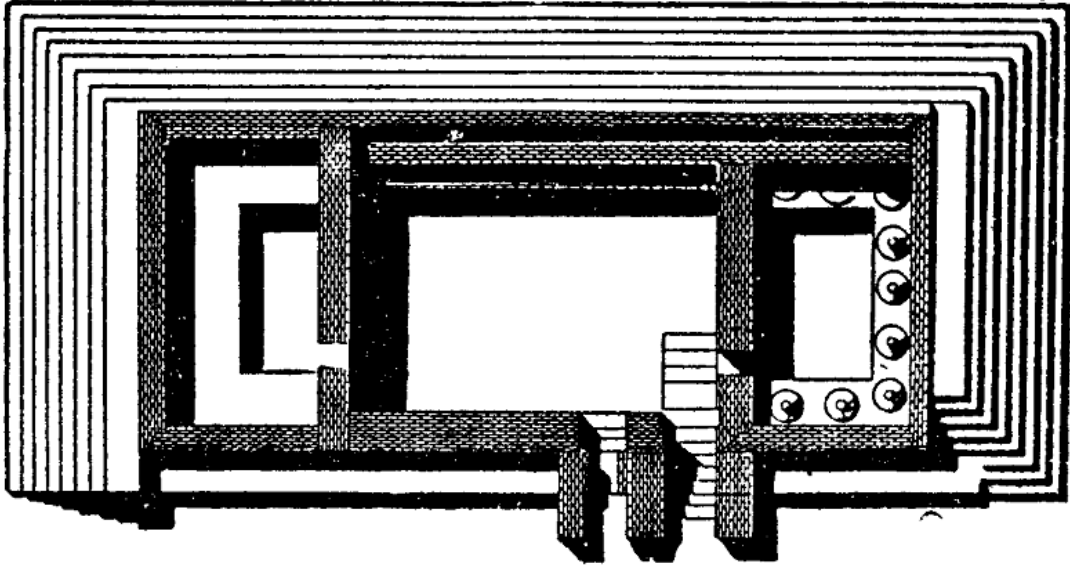
شكل (١) مقبرة هيراكونبولس

نقلا عن p.17 Reisner -Tomb development,



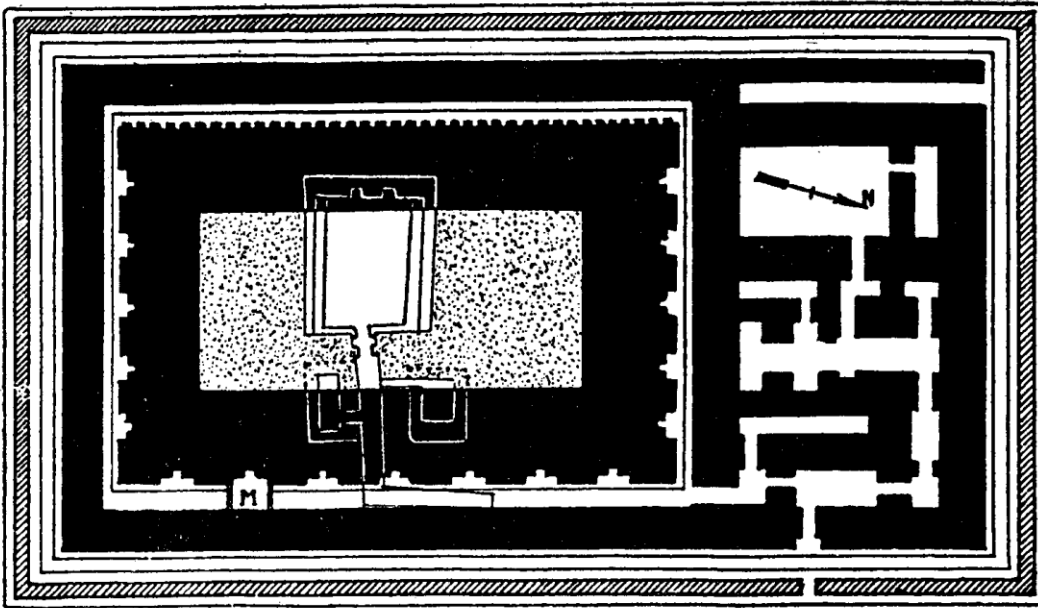
شكل (٢) مقبرة الملك جر بأبيدوس

نقلا عن p.22 Reisner G.A.,The development,



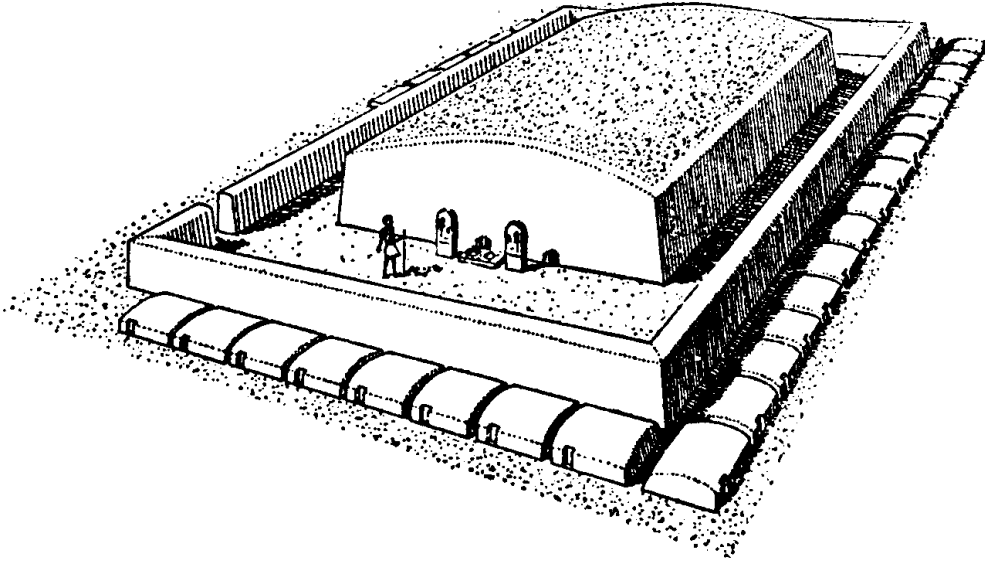
(شكل ٣) مقبرة ٣٠٣٨ المدرجة من ثلاث دوانب بسقارة

نقلا عن أنور شكرى - العمارة فى مصر القديمة، ص. ٢٧١



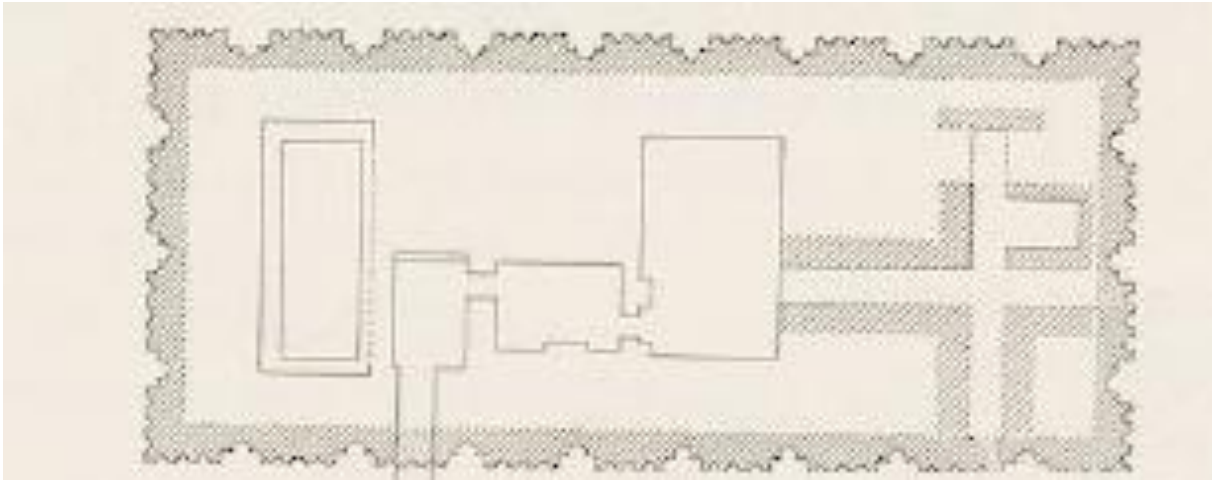
(شكل ٤) مقبرة قاعا ومعبد لها الجنائزي الشمالي بسقارة

نقلا عن أنور شكرى - العمارة فى مصر القديمة، ص. ٢٧١



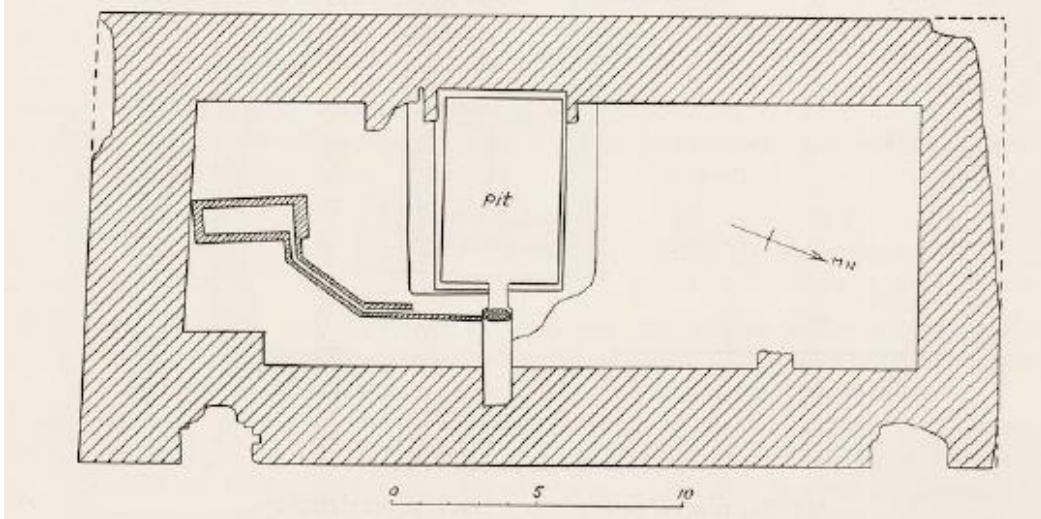
(شكل ٥) مقبرة مري نيت بأبيدوس نقلا عن

أنور شكرى - العمارة فى مصر القديمة، ص. ٢٦٣



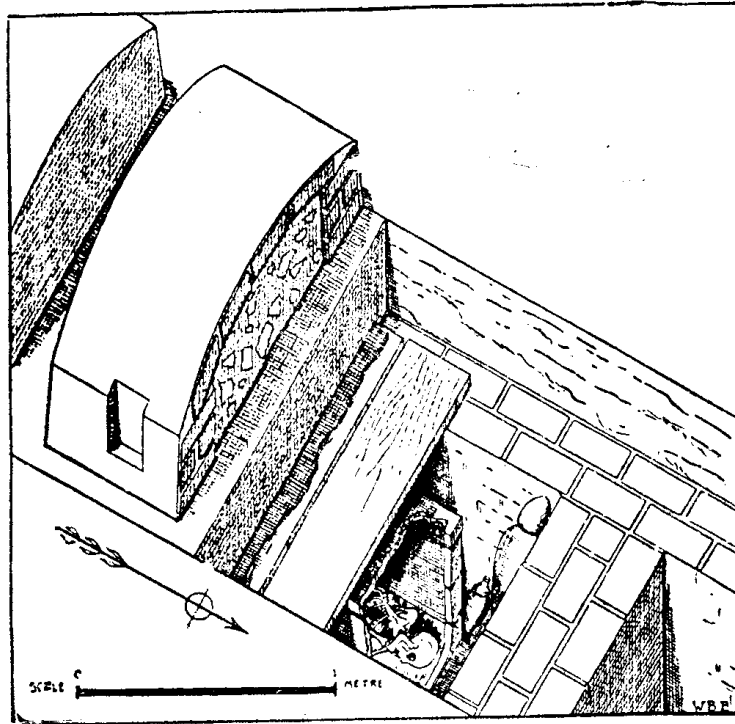
(شكل ٦) مقبرة ذات نيشات من جميع الجهات

نقلا عن Reisner G.A., The development, p.66



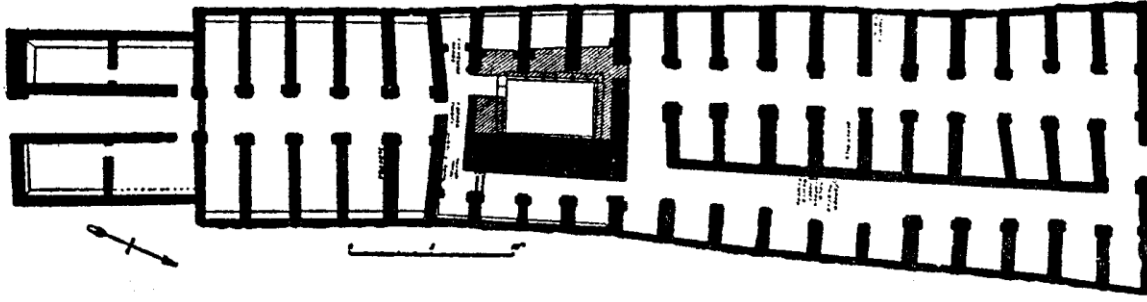
(شكل ٧) مقبرة ذات نيشتين بسقارة

نقلا عن Reisner G.A., The development, p.70



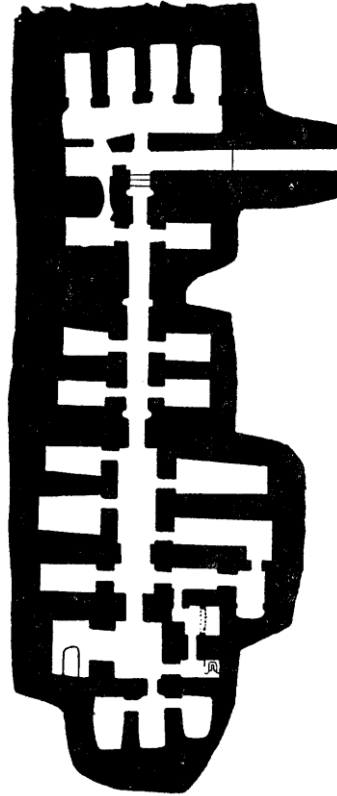
(شكل ٨) مقبرة أحد الأتباع

نقلا عن أنور شكرى - العمارة في مصر القديمة، ص . ٢٧٤



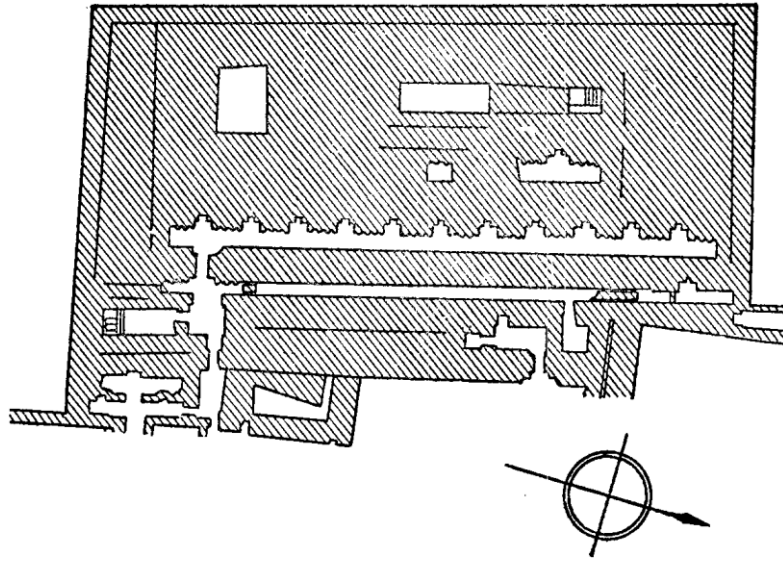
(شكل ٩) مقبرة خع سخموى بأبيدوس

أنور شكرى - العمارة فى مصر القديمة ، ص. ٢٧٢

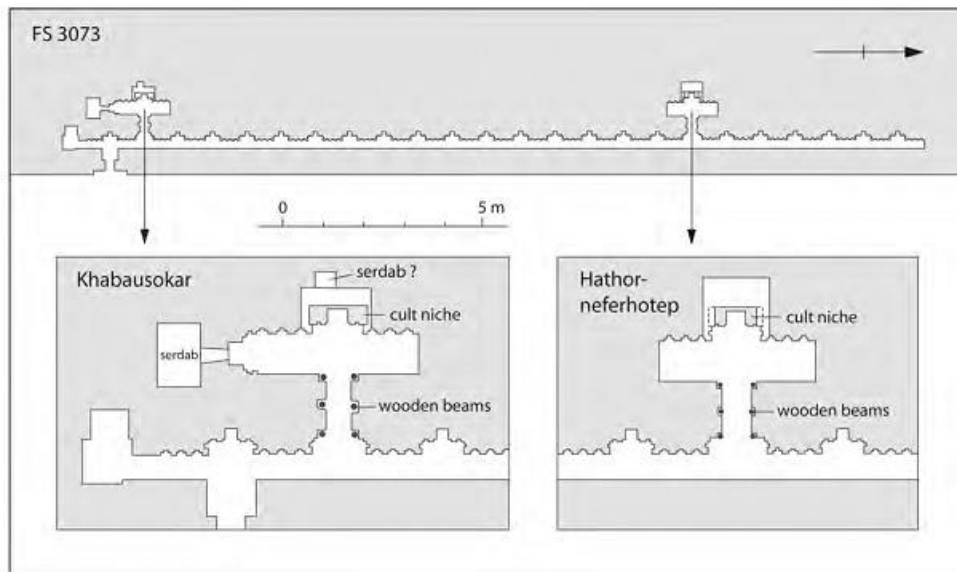


(شكل ١٠) مقبرة رواين بسقارة

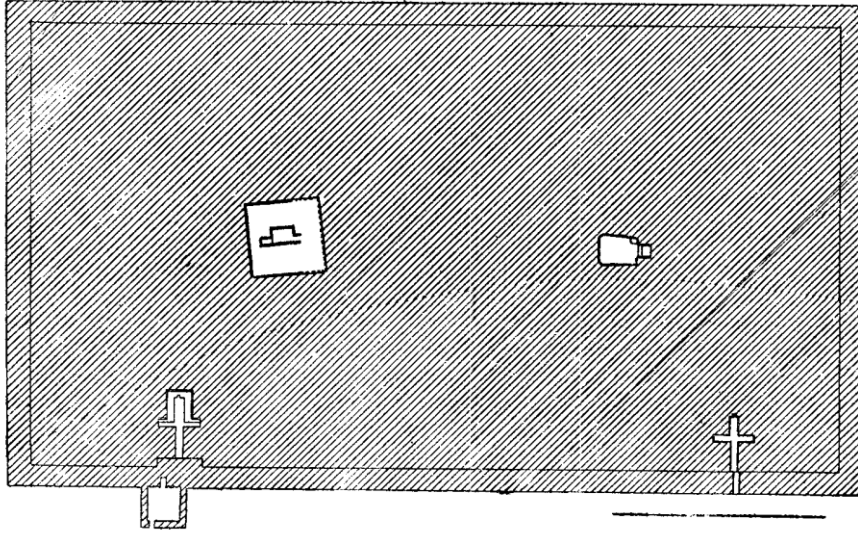
أنور شكرى - العمارة فى مصر القديمة، ص. ٢٧٣



(شكل ١١) مقبرة حسي رع بسقارة - أنور شكري، العمارة في مصر القديمة، ص ٣٦٠.



(شكل ١٢) مقبرة خع باو سكر نقلا عن Barta, M., Tomb of Hetpi, p.54



(شكل ١٣) مقبرة نفرماعت وإنت

أنور شكرى- العمارة فى مصر القديمة، ص. ٢٦٢.

قائمة المراجع

أولا : المراجع العربية

- أحمد فخري ، الأهرامات المصرية ، ١٩٦١ .
- سمير أديب ، تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، ١٩٩٧ .
- عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول ، ١٩٩٢
- عبد العزيز صالح ، مداخل الروح وتطوراتها حتى أواخر الدولة القديمة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج ٢٢ ، ج ١ ، ١٩٦٠
- محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، ١٩٧٠
- محمد أنور شكري ، الفن المصري القديم ، ١٩٩٨

ثانيا : المراجع المعربة

- إسكندر بدوي، تاريخ العمارة المصرية القديمة، ج ١، ترجمة محمود عبد الرازق، ١٩٥٤
- سيريل ألريد ، الحضارة المصرية ، ترجمة مختار السويقي ، مراجعة احمد قدري ، ١٩٩٦

ثالثا : المراجع الأجنبية

- Aldred, C., Old Kingdom Art in Ancient Egypt, Lodon, 1949
- Ausfuhrliches Verzeichnis der Aegyptischen Altertumer und Gipsabgusse, Berlin, 1899.
- Barta, M., tomb of hetpi, Charles University, Faculty of Arts, Prague, 2010.
- Dunham, D. & Simpson ,W.K., The Mastaba of Marsyanhk III, Boston, 1974.

Emery, W.B., Excavations at Saqqara , The tomb of Hemaka, Cairo, 1938.

Emery, W.B., Excavations at Saqqara 1937-1938, The tomb of Hor-aha, Cairo, 1939.

Emery, W.B. , Great Tombs of the First Dynasty, vol. I, London, 1949.

Emery ,W.B., Great Tombs of the First Dynasty, vol. II, London, 1954.

Emery, W.B. , Great Tombs of the First Dynasty, vol. III, London, 1958.

Junker, H., Giza XII, Wien und Leipzig, 1955.

Lauer, J. Ph., Histiore Monumentale des Pyramides d'Egypte,I, Les Pyramides a Degres, Cairo, 1962.

Lehner, M., The Complete Pyramids,New York, 1997.

Petrie, F., The royal tombs of the first dynasty, part I, London, 1900.

Petrie, F., The royal tombs of the earliest dynasties, part II, London, 1901.

Quibell, J.E., Green, F.W., Hierakonpolis, II, London, 1900 – 02.

Reisner, G.A. , the development of the Egyptian tomb Down to Accession of Cheops, combridge, 1936.

Vandier, J., Manuel d' archeologie Egyptienne, t. I, La prehistoire, Paris, 1952